عصير الكتب
للنشر الالكتروني

د/أميرة زقزوق

قصة قصيرة

جنة النزوال

قصة: جَنّةُ الزَّوَالِ

للكاتبة: أميرة زقزوق

تصميم الغلاف: محفوظ أحمد

في وضع الاندفاع كان قد تهيأ جسده قبل أن يعي عقله شيئًا مما يحدث، تقدم ببطء مُجاهدًا ثقل خطواته، وكأنما قدماه قد تم لزقهما بأرضية الغرفة، زوجته أمامه تقف على حافة الهاوية، الريح تلف خديها فتوردهما أكثر وأكثر وكأن حمرة خدها ليست سوى نيران من العذاب تعتمل داخله، يجاهد بوجل كي يبدو صوته طبيعيًا، ولكن نبرته تخونه إذ تخرج من بين شفتيه مرتعدة كارتعاد مفاصله:

-ياسمين أرجوكِ، لا تتركيني وحدي في هذا العالم الموحش، أنا لا أملك من العالم شيئًا سواكِ، لا تُعذبيني بفقدك فأنا على وجع الفراق ما بقيت قادرًا.

تلاعبت بسمة فوق ثغرها أو هكذا خُيل إليه، وهي تجيبه بحماسة لا تتماشى مع وضعيتها المُهيأة للسقوط من فوق السور:

-أنت لا تصدقني ولكنها هناك، تنتظرنا، صدقني هي قالت لي هذا، رنا تنتظرنا صدقني، ليس علينا سوى الذهاب لها.

تملكت منه نوبة شجاعة، فدنا خطوة منها قبل أن يتسمر مكانه وقلبه يتخبط بين الخوف من حركتها المفاجئة، تضاعف زعره بسبب موضع قدمها الذي بات وشيكًا من حافة الانهيار، وهي تصيح بغضب هادر:

-قلت لك لا تقترب..

حاول أن يُهدئ من روعها وإن كان لا يدري أيهدئها هي أم يُهدئ قلبه المُثخن بطعنات الأيام، قال وكأنما يُمني طفلًا صغيرًا بشيء لن يحدث لا لشيء سوى أن يكف عن البكاء:

-حسنًا ما رأيكِ أن تتخلي الآن عن فكرة الذهاب إليها وحدك، وتمدي لي يدكِ ثم نذهب معًا إليها، أنا وأنتِ؟؟

لاحت نظرة متعبة داخل مقلتيها، تلاعبت الرياح بشعرها مثلما تلاعبت الأيام بعقلها فأفقدته صوابه، حانت منها التفاته للشارع تحتها دون ذرة خوف واحدة تردعها عما هي مُقبلة عليه، ثم نظرت إليه مرة أخرى حين كان يحاول إمساكها إلا أن نظراتها قيدت حركته، بدا صوتها غريبًا عنه، بدا لو كان صوت إمرأة أخرى غير زوجته الوديعة الرقيقة:

-لقد فات الأوان، أنت لم ترغب بالمجيء معي لذا فسأجبرك على القدوم، سأذهب إليها أولا ثم ستأتي أنت إلينا حين يتم إعدامك.

جفل حين رآها تسقط أمامه، غابت الدنيا وإن لم يفقد وعيه، تخشب جسده وإن طارت روحه خلفها، لم يشعر بشيء سوى أن العالم حوله ينتهي، الظلام يتغلل في عقله فما عاد قادرًا على الرؤية، حتى إنه لم يشعر برجال الأمن الذي اقتحموا المنزل بالتزامن من انتحار زوجته....

****

"أرجوك ساعدنا فأنت في موضع الاتهام ويجب عليك الدفاع عن نفسك"

تطلع إليه الظابط ينتظر ردًا، رق قلبه لهذا الرجل الذي فقد زوجته أمام ناظريه، يعرف بحدسه أنها قد انتحرت، وإلا كيف كانت لتعلم موعد موتها؟

شحذ نفسًا ثم طرده بتعب وهو يستحثه على الحديث قائلًا:

-لقد أرسلت إلينا زوجتك تطلب النجدة معللة أنك ستقتلها، والآن رسالتها هذه ما هي إلا دليل قوي على كونك القاتل، يجب أن تنطق بأي شيء كي نتخذ إجراءًا على أساسه.

لكنه لم ينبس بحرف، ظلت عيناه مثبة على اللاشيء، لم تَنُدّ عيناه عن قطرة دمع واحدة، وإن زخر قلبه بكل بكاء العالم، لمَ يدافع عن نفسه إذ كان سببًا رئيسيًا في انتحار زوجته؟، بل هو السبب في جنونها، يعلم أن قلبها الرءوم لم يتحمل فقدانها لابنتها الوحيدة، تمر الأيام تباعًا أمام عينيه، ها هو اليوم الذي يذهب فيه مع أسرته الصغيرة للتبضع، كانت زوجته (ياسمين) هي نعمة الله له بعدما فقد والديه، جاءت له كهدية من الرحمن بقلبها الحاني الذي عوضه حنان والدته، وعقلها الراجح الذي دائمًا ما كان ينجده في المشكلات، أما ابنته (رنا) فقد كانت حلمه وأمنيته، عالمه الوردي في دنياه، يُفديها بروحه إن

تطلب الأمر، دائمًا ما كانت تشعر (ياسمين) بالغيرة معللة أنه أصبح يحب ابنته أكثر منها، فيضحك مع (رنا) التي تشاركه ضحكته وإن كانت لا تفقه سبب الضحك، ثم يضم زوجته إليه بعد أن دمعت عيناه إثر الضحك ليقول بنبرة تُقطر حبًا:

-مالي غيرك يا ملكة النساء، فأنتِ ملكة قلبي وهي أميرته.

فتهدأ زوجته وعلى ثغرها ابتسامة راضية، جزلة. فتُقبل (رنا) ثم تستطرد هي حديثه:

-ستصبح هي عوننا في الغد عندما يجثو الزمن فوق عمرنا، ليُثقل ظهورنا بالتعب.

كانت دائمًا ما تقول (ياسمين) هذه العبارة وهي لا تدري أنهم سيفقدونها هذا اليوم، لم تكن تعلم أنها سترى ابنتها وهي تتقدم في أول أيام تعلمها المشي لتأتي دراجة كهربائية لفتيان تخلّوا عن حمل المسئولية ثم يرتطموا بها مثلما ارتطمت قلوبهم في قاع الفجع، ركضا نحوها بهلع وتجمع المارة وما كان منهما سوى أن انتقلا بها لأقرب مشفى ودبيب أمل يتلاعب بقلبه وحده، أما (ياسمين) فأدركت من اللحظة الأولى مفارقة ابنتها للحياة.

ظلت أيامًا لا تخرج الكلمة من ثغرها، ولا يدخل الطعام جوفها، أهلكته رؤيته لها بهذه الحال، وأضناه عجزه عن إزاحة الأسى من قلبها،

ولكن أنّى له بهذا وهو الآخر أسير الفجع والحسرة؟ أي أب هو لا يقدر على حماية ابنته من شباب الطرقات؟

كانت عيون (ياسمين) لا تتذوق للنوم طعمًا، فقط تجلس بغرفة (رنا) ممسكة بلعبها وتذرف الدموع بصمت، إلى أن أجهدها التعب يومًا، وألقا بها دون وعي لعالم الأحلام، ولكن سرعان مافاقت فزعة، تنادي باسم ابنها وتمد يدها للفراغ وهي تصرخ بلوعة:

-أنا آتية إليكِ حبيبتي انتظريني.

ولكنها سرعان ما تفيق على وجه زوجها المضطرب وهو يُهدهدها بألم يحرق قلبه لحالها:

-اهدأي حبيبتي مجرد حلم.

ولكنه بالنسبة ل(ياسمين) ليس مجرد حلم، ولا يستعدي منها أن تهدأ، بل كان يتطلب منها أن تتمسك بهذا الأمل!

بدأت تحاول إقناعه بأن يضعا حدًا لحياتهما، فها هي (رنا) الصغيرة تزورها بأحلامها، وتنطق وما كانت تعلمت النطق بعد، لتطلب من والدتها أن تذهب إليها، فهي وحيدة الآن وتشتاق لوالديها.

كان يكتفي بالنظر لزوجته -التي بدأ عقلها بالتمرد على فقدان ابنتها- بحزن وألم شديدين، كان يُدرك أنها مرحلة غير عادية تمر بها زوجته،

لكنه اكتفى بموقف المتفرج، إلى أن ساءت حالتها وبدأت تفعل ما لم يكن له طاقة لتحمله، فتارة تضع السم لكليهما في الطعام لكن الخادمة كانت تكتشف ذلك، وتارة تأتي له بمسدس لا يعلم من أين ابتاعته أو حصلت عليه، لكنه دائمًا ما كان يجد زخيرته فارغة فيتنفس الصعداء، عند هذا الحد كان يجب عليه التدخل والخروج عن نص المتفرج، لكنه لم يفعل. فأضحت هذه النتيجة.

ينتظر حكم الإعدام الذي خططته له زوحته، بيد أنه لم يحنق عليها أو يغضب، هو السبب فيما آلت إليه حالتها، لمَ يتمسك بحياته إن كان قد فقدها بفقده ملكة قلبه وأميرته؟

وُضع حبل الإعدام حول رقبته فما كان منه إلا أن ابتسم بجزل ولمعت السعادة بمقلتيه، رآهما من بعيد يلوحان له، غمرت الفرحة قلبه حين شعر أنه أصبح قاب قوسين أو أدنى منهما..

"تمّت"